أدب الطّفل بين الترجمة وإعادة الكتابة

بن أحمد عبد الفتاح أستاذ مساعد أ
جامعة مصطفى اسطنبولي /معسكر

ملخص

نهدف في هذ البحث إلى معالجة موضوع مهمّ ،يتمثّل في الترجمة لأدب الطفل ،والذي لطالما أثار اهتمام منظّري الترجمة في العقدين الأخيرين من القرن العشرين ،ولا يزال كذلك إلى وقتنا الحالي . وسنحاول فهم معالم هذا النتاج الأدبي الذي يتميّز بخصوصية المتلقي المزدوج (الطفل والكبير) في الوقت نفسه و بذلك تطرح إشكالية التعاطي مع ترجمته إلى اللغة الهدف، فيجد المترجم نفسه بين اعتبارات عديدة تتراوح بين ما هو تربوي وتعليمي وترفيهي ،وذلك ما يزيد من تعقيد عملية الترجمة وإنجاحها . ومن ثمّ تأتي هذه الدراسة لتوضّح ما ينبغي على مترجم أدب الطفل مراعاته ،مع الإشارة إلى بعض المنافذ الترجمية التي يسلكها بغية تحقيق نص مترجم متكافئ وظيفيا ومقبول عند الجمهور المستقبل .

الكلمات المفتاحية: الترجمة – أدب الطفل - التربيه - الترفيه - التلقي - التكافؤ – المقبولية.

شكّلت الترجمة جزءا هاما من التفاعل الثقافي بين الأمم والشعوب المختلفة نظرا، لأنّها ظاهرة طبيعية وضرورية، تفرضها ظروف اجتماعية

واقتصادية وسياسية وغيرها. وإنه لمن الملاحظ بأن الحاجة تزداد إليها مع الزيادة المطّردة في التواصل العالمي. وسوف لن نبالغ إن قلنا بأنّ دون الترجمة تضيع فرصة نقل المعلومات بين الأمم والحضارات وتبقى قيم الثقافات الأخرى بمنأى عنا. ولذلك وبعد أن انعطف بنا العالم نحو ألفية ثالثة تجسّدها العولمة، بكلّ تجلياتها وأشكالها، بات من المؤكّد لدى كلّ منّا بأنّ العصر الذي نعيش فيه يمثّل بحقّ عصر الترجمة.

لاشك أن الأدب من الميادين التي تعرف إقبالا كبيرا في مجال الترجمة. فالترجمة الأدبية تعنى بنقل معاني الآثار الأدبية من لغة إلى أخرى، وبالحالة نفسها التي قصد الأديب أو الشاعر أن يكون عليها الأثر الأدبي . وتتجلى هنا صعوبة الترجمة في هذا المجال لارتباطها بشروط إبداعية وجمالية وأسلوبية.

لقد كانت ترجمة الأدب في جوهرها تلبية لحاجة أحسّت بها الأمّة الناقلة نحو آداب الأمم الأخرى لما تتضمّنه عملية النقل من تفاعل ثقافي واستزادة قد تعجز الأمّة عن تحقيقها دون فعل الترجمة . وعليه لا ينبغي أن تكون الترجمة الأدبية عملا عشوائيا ينبع من اختيار شخصي تنقصه الرؤيا والتبصّر، بل ينبغي أن يكون استجابة لحاجة حقيقية يشعر بها المترجم ويلمسها، وتكون ضمن شواغله الفكرية والاجتماعية والثقافية. وقد لامست الترجمة الأدبية أجناسا عديدة من قصة ، ورواية ، وشعر أو ما هو موجّه مجملا إلى الكبار .إضافة إلى ذلك ، أصبح أدب الأطفال - متمثّلا في القصة بالدرجة الأولى - يلقى اهتماما كبيرا في ميدان الترجمة، وذلك

لما أصبحنا نعثر عليه من قصص مترجمة ،لا سيما من اللغتين الإنجليزية والفرنسية . ويرجع في تقديرنا هذا الاهتمام إلى غايات تعليمية وتربوية وترفيهية من جهة ،وتجارية محضة من جهة أخرى.

ويعدّ الدارسون أنّ أدب الطفل ممارسة واقعية ومختلفة في الجنس والشكل والمحتوى من الأدب الموجّه للكبار(موفق، ر ب .2012: 40) ،كما إنّ ترجمة هذا الجنس الأدبي تعدّ عملية معقّدة تتطلب تحليلا واعيا للطابع الجوهري للقصة، وذلك من أجل بعثها في السياق الأدبي الجديد أو سياق التلقي . ونجد بأنّ الثقافة المتباينة بين الشعوب تعيق في أحايين كثيرة، على المترجم تجسيد هذا التلقي المتكافئ. وعليه ما هو السبيل الذي يسلكه المترجم لقصص الأطفال،لا سيما حينما تتباين الثقافتان و تتنافى القيم التربوية والحضارية؟ وهل الترجمة الحرفية "**التغريبية -Foreignisation**" هي الحل الأنسب الذي يقي المترجم من أن ينعت بالخيانة أم إعادة الكتابة "**التدجينية -Domestication**" التي تراعي القارئ وتضعه فوق كل اعتبار؟ ونحن نحاول ولوج هذا البحث نرى من الأهمية بمكان البدء بتعريفه .

- **تعريف أدب الطفل**

يرد تعريف أدب الطفل في معجم الطفولة ،لأحمد زلط ،على أنّه " نوع أدبي متجدّد في الأدب الحديث يتوجّه لمرحلة عمرية متدرّجة من عمر الإنسان ،يكتبه الكبار للصغار في الفنون النثرية والشعرية المتنوعة في لغة تتناسب وجمهور الأطفال ومداركهم ،وفقا لمعايير كتابة النص الأدبي للأطفال وليس عنهم ،ومن أهم روافد أدب الطفولة في أدب أيّ لغة

الحكايات : الشفهية والشعبية ويهدف النصّ الأدبي في سائر قوالبه إلى الوظائف الأخلاقية والتربوية والفنية والجمالية (زلط ،أ.2000: 64).

يتضح من هذا التعريف بأن أدب الطفل فنّ من الفنون الحديثة في الأدب العربي وغيره ، يختلف عن الأدب عامة في كونه موجّها إلى فئة الأطفال، التي تتميّز بمستوى عقلي وفكري ومعرفي يختلف عن الكبار، أي أن هذا الأدب يراعي المرحلة العمرية التي يمرّ بها الطفل الصغير(محمد ،ق.2010. 15). ومن ثم، ينبغي على كاتب أدب الطفل تحديد معجمه بما يتناسب مع مدركات الطفل العقلية وحاجاته الوجدانية . ويمكن لهذا الأدب أن يتجسّد في قالب نثري أو شعري، أي على شكل قصّة أو قصيدة يستقيهما الكاتب من منابع عديدة لا سيما من الحكايات، شفهية أو شعبية كانت. ويخلص كذلك إلى تحقيق غايات تربوية وأخلاقية سامية، وجمالية فنية رفيعة.

لا يقتصر أدب الطفل على عرض الأخبار والترفيه فحسب بل ينقل المعرفة والتجارب إلى الصّغار من خلال المتعة والسرور، كما ينميّ فيهم الإحساس بجمال الكلمة ومغزاها ، وبالتالي فإنّ محاولة اتخاذ تعريف له خارج إطار الأدب عموما يجانب الواقع والصواب لارتباطه بالكتاب والقارئ – الصغير - الذي يمثّل الجمهور المتلقي ويجعله يتميّز عمّا هو موجه للكبار(أبو معال،ع.1988: 17).

- **نشأة وتطور أدب الطفل : في أوروبا والوطن العربي**

لقد أصبح لأدب الطّفل في عصرنا الحالي مكانة مهمّة بفضل الوعي الذي غدت تتمتع به المجتمعات المتقدمة، وبمساهمة هذا الأدب في تربية الطفل اجتماعيا ونفسيا وخلقيا، وتثقيفه فكريا ممّا يختاره ويقرأه ويستهويه. ويجمع الباحثون المتقصّون لهذا المبحث أنّ ظهور أدب الطّفل بدأ في فرنسا ،على يد الشاعر **شارل بيرو** - Charles Perrault (1628 -1703) ، وذلك بكتابته ثماني قصص خيالية للأطفال بعنوان « حكايات أمّي الإوزّة 1697 - « *Contes de ma mère l'Oye* » ،التي نشرها باسم مستعار، وهو اسم ابنه **بيار دارمنكور**، وإثر الاهتمام الذي حظيت به قصصه قام بتأليف مجموعة قصصية أخرى باسمه الحقيقي تحت عنوان "أقاصيص وحكايات الزمن الماضي" " *Histoires ou Contes du temps passé* (1697)" ، وبعد أن ترجم أنطوان جالان " **Antoine Galland**" **(1646 -1715)** ، "ألف ليلة وليلة" عام 1704 ،بدأ ظهور قصص الحكايات والخرافات المستمدة منها ، ومن المتأثرين بها الكاتب الدانماركي هانس كريستيان أندرسون " Hans Christian Andersen" "1805 -1875) الذي ألف الكثير من القصص التي ترجمت إلى سائر لغات العالم (موفق،رم.2012 :19 -20).

وترى الأستاذة **ناتالي برينس « Nathalie Prince »** ،أنّه على الرّغم من أنّ بوادر هذا الأدب تبدأ - كما أشرنا - مع شارل بيرو وكذلك **جون دي لافونتين** « Jean de La Fontaine » ، في القصص الخرافية « les fables » والمنشورة عام 1688 ،إلاّ أنّ هذه القصص لم تكن موجّهة بالدرجة الأولى إلى فئة الأطفال ،إذ قام بيرو بتأليفها للكبار، وذكر لافونتين في استهلال كتابه بأنّ هذه الحكايات هي موجّهة إلى الشخصيات

الكبيرة – وهو يهديها إلى **دوق بورقون** « Duc de Bourgogne » ، **دوفين لويس** « Dauphin Louis » - حتى وإن كانت في جوهرها تستهوي الأطفال الصّغار، كما كانت تهدف جلّ هذه القصص – برأيها - إلى تنشئة القارئ على قيم دينية سامية .،وما جاءت "مغامرات تليماك" (1699) لصاحبها فينلون (Aventures de Télémaque- Fénelon) إلا لهدف تربوي تعليمي موجّه خصيصا لدوق بورقون الصغير.(32 - Nathalie,P.2010 :30).

لقد ظلّت الحكايات الشعبية تتداول على ألسنة الكبار، إلى أن جاء الوقت الذي أصبحت تستلهم منها الكتابات القصصية للطّفل، وهذا ما جرى في ألمانيا حينما قام الأخوان جريم يعقوب وفيلهيلم 1785 -1863 / 1786 -1859 (Les frères Grimm) بإصدار الجزء الأول من كتابهما "حكايات الأطفال والبيوت" سنة 1812 ثمّ الجزء الثاني سنة 1814 . ويعدّ كذلك الكاتب الإنجليزي لويسLewis Carroll » (1832 -1898) الأب الروحي لأدب الأطفال(محمد ،ق.2010: 12)، وذلك بفضل النجاح الذي حققته قصصه لا سيما كتابه "أليس في بلاد العجائب" عام 1846.

ولمّا تفطنت دور النشر الفرنسية العريقة مثل "دارهاشيت "و "هيتزل" إلى المستقبل الذي سيحظى به هذا الأدب تنافست وسارعت إلى استقطاب أدباء مرموقين مثل الكونتيسة دي سوقير وجول فيرن وشارل ديكنز، لتشجيعهم على التأليف في هذا المجال . ويعتبر الباحثون أنّ العصر الذهبي لأدب الأطفال في فرنسا شهدته الفترة الممتدة بين 1860 -1890 ،ويرجع

السبب في ذلك إلى تزايد عدد الأطفال المتعلّمين، بفضل القوانين التي وضعتها الدولة ،فتزايدت المنشورات وظهرت مكتبات خاصة بهذا الجنس الأدبي عرفت باسم بالمكتبات الوردية (Christiane,Poslaniec.2008 :30-35).

وسرعان ما عرف هذا الأدب ركودا بعد ذلك وانحسارا لعدم جاذبية مواضيع القصص المؤلّفة من جهة، وعدم مسايرتها لروح العصر من جهة أخرى. وبذلك يلخّص الباحثون مسار أدب الأطفال في فرنسا ،على وجه الخصوص ،في ثلاث مراحل : المرحلة الأولى تمتدّ من القرن الثامن عشر إلى غاية النصف الأول من القرن التاسع عشر، ثم المرحلة الثانية الممتدة من عام 1850 إلى 1914 والمرحلة الثالثة من 1919 إلى 1975 تقريبا ،التي بدأ البحث فيها عن كيفية الجمع بين كل من الترفيه والتربية والأدب أثناء الكتابة للأطفال.

وأمّا بخصوص أدب الطّفل في الوطن العربي، فعلى الرّغم من أنّ هناك من يرجع بالتأريخ له إلى العصر الجاهلي ، الذي كانت تتداول فيه أشعار الترقيص التي اهتمّ بها كثير من الدارسين والباحثين العرب ،إلا أنّ الانطلاقة الحقيقية له كانت في أواخر القرن التاسع عشر ، متأثرا بالأدبين الفرنسي والإنجليزي . ففي مصر مثلا ظهر هذا الأدب عن طريق الترجمة ، في عصر محمد علي ،حيث قام رفاعة الطهطاوي (1873لمح1801) بترجمة "حكايات الأطفال وعقلة الأصبع" وأدخل قصص الأطفال في المقرّرات المدرسية (موفق،ر،م.2012 :22)، وبعد ذلك أحمد شوقي حين كتب قصصا على ألسنة الحيوان والطيور مثل "الصيّاد والعصفورة"، و"الديك الهندي"

وغيرها من القصص التي وردت في ديوان الشوقيات عام 1898، ولقد نبع اهتمامهما في الحقيقة بهذا الفن بعد دراستهما بفرنسا .

ويشير المهتمّون بأدب الطفل في الوطن العربي إلى أنّ هذا اللون عرف تحوّلا ملحوظا يمكن أن يعدّ بداية جادة للتأليف والكتابة للأطفال وذلك بعد أن تغيرت نظرة الكتاب والأدباء، أنفسهم، إلى مرحلة الطفولة متأثرين في ذلك بالغرب المتقدّم . ومن الذين بزغ نشاطهم في هذا الفن و ارتقوا به محمد الهراوي (1885 - 1939) و كامل الكيلاني (1897 -1959)، فقام الأول برسم معالم طريقه بكتابة "سمير الأطفال للبنين " وسمير الأطفال للبنات" ،إضافة إلى الأغاني والقصص مثل "جحا والأطفال" و"بائع الفطير." أمّا الثاني، فقد راعى المرحلة العمرية لكل فئة ،فجاءت قصصه مناسبة لمستوى الطفل العقلي واللغوي،في أسلوب جذّاب وبسيط فكانت له ما ينيف عن مائة قصة ومسرحية (علي، الحديدي.1976: 259).

وتطور أدب الطّفل شيئا فشيئا فظهرت ،في فترة الستينيات ، حركة نشطة تهتم بمطبوعات الأطفال من خلال "دار الفتى العربي" السورية التي نهض بها كثير من الكتاّب المرموقين مثل " زكريا تامر" و"عادل أبو شنب" و"سليمان العيسى" ،كما ظهرت العديد من المجلاّت في لبنان ،التي تحتوي على قصص مؤلّفة وأخرى مترجمة عن الأدب الأجنبي، ونذكر على سبيل المثال مجلّة "سوبيرمان -1964" و "الوطواط - 1966" و"طرزان - 1967" و"لولو الصغيرة -1971"، وفي مصر " مجلة سمير -1956" ،و"مجلة

ماجد 1979" بالإمارات العربية المتحدة ،ومجلّة "رافع للأطفال" ومجلّة" أسامة -1969 " بسوريا (أمل حمدي،د.2012: 78 -87).

وإذا ما انتقلنا إلى حالة أدب الطفل في المغرب العربي فنجد أنّ الاهتمام بهذا الجنس جاء متأخرا نوعا ما لسيطرة الاستعمار الأوروبي بأشكاله على ربوع بلاده (الفرنسي بالجزائر والمغرب وتونس والإيطالي بليبيا) وخنقه لكلّ ما ينير الشعوب من ثقافة وعلم، ليقينه من أن سبيل العلم والثقافة سيؤدّي بهذه المجتمعات إلى التطلّع لغد مشرق ينبذ الهيمنة والاستبداد وبالتالي فإن الحديث عن فن أدب الأطفال في المغرب العربي بدت بوادره بعد أن تخلّص فعليا من الاستعمار. ويشير بعض الدارسين إلى أنّ أدب الطفل بدأ مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،إذ ألّف الشاعر محمد العيد الخليفة "مسرحية بلال" عام 1938 (عمّيش،ع.2003: 31).

وبعد استقلال الجزائر انطلق المشروع الثقافي، فانطلق معه التأليف للأطفال سواء كان شعرا أو نثرا ،إلاّ أنّه لم يعط العناية الكافية ، إذ ظهرت مجلّة "مقيدش -1969" وغيرها ولكن سرعان ما اختفت . إضافة إلى ذلك،فقد ظهرت بعض القصص المستمدة من التراث الشعبي مثل "سلسلة حكايات جزائرية" لرابح خدوسي ،ضمّت قصصا عديدة منها "بقرة اليتامى" و"لونجا" و"عروس الجبال"وغيرها .وإذا ما نظرنا إلى دور النشر التي اهتمت بنشر قصص الأطفال، نجد على رأسها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ودار الهدى ، وتراوحت المواضيع القصصية بين الديني، والتاريخي، والاجتماعي، والفكاهي،والعلمي . ولا يمكننا أن نغفل ،في حديثنا عن الكتابة للأطفال في الجزائر، عمّا قدّمه بعض الكتاب والشعراء المعروفون

مثل محمد الأخضر السائحي ، وبوزيد حرز اللّه ،وسليمان جوادي، وزهور ونيسي وغيرهم كثير .

كما اهتمّ عدد من الكتّاب المغاربة بالكتابة للطفل ، جاءوا في مراحل مختلفة ، حسب التقسيم الذي قام به الدارسون حول الكتابة القصصية بالمغرب ،وجعلوها في أربع مراحل تتمثل إجمالا في مرحلة الظهور والانبثاق، (1970لمحـ1938) ومرحلة التأسيس، (1980لمحـ1970) ومرحلة الازدهار والانتعاش(2000لمحـ1980) ،ثمّ مرحلة الركود والتراجع النسبي الذي عرفته بدايات الألفية الثالثة. و من الكتّاب الذين برعوا في هذا المجال نذكر أحمد بن عبد السلام الساعدي (الاتّحاد قوّة -1948) وعبد الرحيم الكتاني، وعبد الحق الكتاني بإصدارهما مجموعة قصصية متميّزة في السبعينيات،والعربي بن جلون صاحب "السندباد يحكي" وغيرهم لا يسعنا حصرهم (حمداوي ،ج.2009 ينظر الموقع التالي (http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2009/07/06/169053.html)

وجاء الاهتمام بمجال أدب الأطفال في تونس بعد الاستقلال والتخلّص من الحماية الفرنسية ، ويلاحظ المتتبعون بأنّ ذلك الأمر فرضه الجانب التربوي والمؤسسات التعليمية التي أحسّت بحاجتها إلى نصوص تناسب مستوى الأطفال السيكولوجي والتربوي، ومن ابرز الكتاب التونسيين المشهورين بكتابتهم للأطفال نذكر على سبيل المثال لا الحصر محي الدين خريف، ونور الدين صمود، و كذا الشاعر حسن بن شعبان الذي كان له

السبق في ذلك، وأبو القاسم الشابي الخ...(حمداوي ،ج .2009: ينظرالموقع التالي (http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=19409).

وتعدّ ليبيا كغيرها من بلدان المغرب العربي التي أعطت أهمية بالغة لأدب الطفل بجميع أشكاله ،وما وجود العديد من المجلاّت والكتب الموجهة للأطفال إلا خير دليل على ذلك. ومن بين أهمّ المؤلفين المرموقين لقصص الاطفال فيها نذكر يوسف الشريف ومحمود فهمي " قصص ليبية للأطفال" .ويحصى ليوسف الشريف ، بمفرده ، ما ينيّف على مائة قصة للأطفال، إضافة إلى إشرافه على مجلّة "الأمل" الطّفلية، كما تشير الباحثة الليبية أسماء مصطفى ،في مؤلّفها البيليوغرافي والدراسي، إلى أنّ عدد المجلاّت قد بلغ 27 مجلة نشرت بين عام1921و عام 2005.(حمداوي،ج.2014: ينظرالموقع التالي أدب الأطفال في ليبيا http://www.afrigatenews.net/content).

وفي الواقع لا يسعنا حصر جميع الكتابات القصصية في الوطن العربي في مقالة كهذه ،ولو حاولنا ذلك، لتنوّعها وعدم وجود مسرد بيبليوغرافي لها خاص بكل بلد، ولذلك حاولنا أن نشير عرضا لكل ما عثرنا عليه أثناء بحثنا .

- **أدب الطّفل المترجم في الوطن العربي : واقعه وأثره في المتلقي**

لمّا أحسّ الكتّاب في الوطن العربي بفراغ كبير في السّاحة الثقافية للطّفل تيقنوا من أنّه بات لزاما عليهم الترجمة والنقل عن آداب غيرهم، ممّن ارتقى عندهم أدب الطّفل وثقافته أيّما رقيّ، فرأوا في الترجمة الوسيلة المثلى لاكتساب المعارف والخبرات المتراكمة. ويشير الباحث والكاتب السوري محمّد قرانيا إلى أن نسبة النتاج القصصي بين المؤلّف والمقتبس لا يتجاوز في

مجموعه 67 ٪ والبقية تمثل القصص المترجمة. يضيف كذلك ما مفاده أنّ جهد الدوائر العربية في تقديم هذا النتاج لا يصل إلى نسبة 16٪ من حيث الكمّ والنوع في الوقت نفسه، بينما هو يفوق في دوائر غير عربية نسبة 84٪ (محمد ،ق.2012: 136) .

وحينما نتحدّث عن الترجمة في الوطن العربي ، بناء على هذه الإحصائيات، يمكننا أن نؤكّد بأنّ المخزون القصصي المترجم هو المهيمن ، إن صحّ القول ،على السّاحة الثقافية للطفل العربي.وإذا بحثنا عن البلدان التي كان لها السّبق في مجال الترجمة لهذا الفنّ، فنجد مصر وبلدان الشام وبعض بلدان الخليج - في وقتنا الحالي - في طليعة الرّكب الناقل لهذا المخزون الكبير. وقد اضطلع بهذه المهمّة في البداية الأدباء والكتّاب أنفسهم، فكانوا يعيدون صياغة النّص الأصل وكأنّهم هم من أبدعوه، إذ كان الأديب السوري رزق الله حسون (1825) يعمل مترجما بقنصلية النمسا في حلب وأصدر كتاب النفثات سنة 1867،وهو عبارة عن ترجمة شعرية ونثرية لعدد من ترجمات "كيرلوف " رائد أدب الأطفال الروسي والذي قام بترجمة حكايات لافونتين إلى الروسية (محمد، ق.2012: 131).

وقد تزايد في وقتنا الحالي عدد القصص الأجنبية المترجمة لشريحة الأطفال، وذلك ما لا يمكن أن يغفله كلّ واحد منا، لا سيما المتتبعين والمهتمين بهذا الفن . ونجد عادة بأنّ جلّ القصص المترجمة التي تفد إلينا ، داخل الجزائر مثلا، هي صادرة عن دور نشر لبنانية وسورية مثل شركة دار الشمال ومؤسّسة المعارف بلبنان ودار ربيع للنشر بحلب - بسوريا ، فقامت

هذه الدور بنشر ترجمات لقصص أجنبية مقتبسة ومؤلّفة صادرة باللغة الفرنسية عن منشورات هيما (Editions HEMMA) ببلجيكا. وما نلاحظه في بعض هذه القصص هو غياب بعض المعلومات المهمّة مثل كاتب النص الأصل والمترجم للغة العربية على الرّغم من ورودها في حلّة طباعية بديعة لا تقلّ عن نظيرتها الأصلية.

ومع ذلك كلّه ، لا تكاد تخلو هذه القصص الغربية الوافدة إلينا عن طريق الترجمة من سلبيات عديدة قد تشوّش فكر المتلقي الصغير، فتجعله يتساءل عن حقيقة انتمائه إلى بيئة معيّنة ،ومن ثمّ يشرع في مقارنة نفسه مع أقرانه، فيصل إلى ملاحظة الفرق في نمط العيش والتفكير وبال ويجنح إمّا إلى الانعزالية واحتقار ذاته التي لا ترقى إلى مصفّ أقرانه، وإماّ إلى الانبهار أمام بيئة غيره، فيصبح مقلّدا منسلخا فيها. وما يساعد على هذا كلّه هو تلك الصور المصاحبة للنص المكتوب والخادشة للحياء، بحيث إن لم يقم الناشر بتعديلها سيرى الطفل العربي مثلا صورة التلميذ في سنّه يقبّل زميلته في المدرسة والأمير ينحني على الأميرة – سندريلا - في سريرها مقبلا ثغرها ، وهذا يكون منافيا لقيمه من جهة وللهدف التربوي والأخلاقي المنوط بأدب الطفل من جهة أخرى.

ويرى الدكتور عبده عبود إلى أنّ جلّ اهتمام القائمين على ترجمة أدب الأطفال انصب في ترجمة القصص، وأهملت بذلك الأجناس الأخرى من شعر و مسرحيات، وإن كانت أهميتها كبيرة جدّا ،إضافة إلى عدم معرفة اختيار الأعمال الجديرة بالترجمة ،إذ عادة ما يسند الأمر للمترجم وحده ليقوم

بذلك، حتّى وإن لم يكن له إلمام بأدب الطفل ،ومن ثمّ لا ينبغي – برأيه - على المترجم أن ينتقي العمل المترجم انطلاقا من شهرة المؤلّف في مجتمعه، بل يبني اختياره وفقا للحاجات الحضارية للمجتمع المستقبل (عبده،ع.1995: 204 - 207). ويشير هذا الرأي إلى مدى الحرص في الترجمة لأدب الأطفال على ضرورة إنجاح التلقي، الذي هو بمثابة إنجاح للعمل المترجم نفسه، ولن يكون هذا النجاح والمقبولية إلا بمراعاة هذا المتلقي في جميع ما يتماشى ومرحلته العمرية ،والسيكولوجية والإدراكية التي يوجد فيها، وما يمثّل بيئته وقيمه الرّوحية والثقافية والحضارية . ومن هنا تطرح صعوبة التعاطي مع الترجمة لأدب الأطفال ،التي يراها الكثير من الناس في غاية البساطة والسهولة ،ولكن سرعان ما تتبّين لهم إشكالاتها التي تتطلب التمحيص الجادّ، للخروج بحلول ملموسة تأخذ بعين الاعتبار الآخر في غرائبيته والمتلقي في أصالته ومبادئه السامية.

- **ترجمة أدب الطفل : إستراتيجية ترجمة أم إستراتيجيات؟**

لطالما ظلّ ينظر إلى ترجمة أدب الأطفال على أنّها عملية دون الترجمة، مثلها في ذلك مثل نظرة الأدباء إلى هذا الفن على أنّه دون الأدب ، على الرّغم من كونها عملية في غاية الأهمية لخصوصية أدب الطفل، الذي يتموضع بين الأدب والتربية والمرح. وسرعان ما تزداد إكراهاتها حدّة، حينما يعلم المترجم بأنّ المتلقي هو ذلك القارئ الصغير ،غير المطّلع على ثقافة الآخر، ومن ثم يتوجب عليه مراعاة الخصوصية اللسانية والجمالية والشكلية التي يراها مناسبة لإطار التلقي، دون أن ننسى القيود التي يمليها عليه الناشر.

تشير الأستاذة والباحثة الفرنسية نييرس شوفريل (Nières-Chevrel) إلى ثلاث استراتيجيات ترجمية عرفها أدب الأطفال خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهي : المحاكاة (L'imitation) والاقتباس (L'adaptation) والترجمة (Traduction) (Grace,M,Y.2014:37). وقد تميّزت هذه الفترة - بالذات - بالمحاكاة والترجمة الحرّة للأدب،فساد نوع من إعادة الإبداع، ولو كان على حساب الأمانة للنصوص الأصلية ،وهذا ما أدى إلى ظهور تلك العبارة الشهيرة "الجميلات الخائنات". وتضيف كذلك "لم يكن مترجمو وناشرو أدب الأطفال يجدون أيّ حرج في التدّخل في النص، فيقومون بتكييفه ساعين بذلك لتحقيق تطلّعات الجمهور المتلقي" (Idem).

بدأت الدراسات الأكاديمية في مجال ترجمة أدب الطفل في فترة الستينيات والسبعينيات،فاهتمت بمسائل الاقتباس والتلقي ،وكان السّبق في ذلك لكلّ من ريتشار بامبيرجير(Richard Bamberger) وفالتير شيرف (Valter Scherf) وقوت قلينغبيرق(Gote Clingberg) ، وهم يعدّون من الأوائل الذين تطرّقوا لدراسة ذلك بنزعتهم إلى النص الأصل والوفاء له ،معتبرين بأن الكتب الموجّهة للأطفال هي عبارة عن وحدة كاملة شكلا ومضمونا، ومن ثمّ ،فإنّ أيّ شكل من أشكال الترجمة الحرّة أو الاقتباس هو مرفوض(Roberta,P.2012 :58). ويتبين لنا ممّا سبق ذلك التباين الواضع في التوجّه الذي عرفته الدراسات الترجمية في القرنين التاسع عشر والعشرين، فنلمس اتجاهين واضحين - نبعا من اهتمام الدراسات اللسانية

بالترجمة - يرومان إمّا الوفاء للنص الأصل وكاتبه وهويته، وإمّا الوفاء للقارئ الذي ينبغي أن يتلقى الترجمة بكلّ أريحية في بيئته.

وظهر بعد ذلك في عام 1980 مقال للباحث جديون توري(Gedeon Toury) بعنوان "البحث عن نظرية للترجمة – In search of a theory of translation" ،حاول فيه تحليل عدّة ترجمات عن اللّغة الألمانية لكتاب موجّه للأطفال وتحديد صنافة لمعايير الترجمة في الثقافة المستقبلة ،التي تدفع بالمترجم إلى تعديل النص الأصل،بالإضافة إلى إيتمار إيفن زهار(Itamar Even-Zohar) ونظرية النسق المتعدّد ،وهي مقاربة وصفية جديدة لترجمة النصوص الأدبية ، باعتبارها ممارسة سوسيوثقافية ،تخضع لمعايير أو جملة من الإملاءات الإيديولوجية والسلطوية، ويصبح بذلك مفهوم الأمانة للأصل أو للهدف يخضع –عند توري - إلى معيارين متقابلين "الملاءمة – adequacy" و"المقبولية - Acceptability) (Roberta,P.2012 :59).كما ترى المنظّرة شافيت زوهار(Chavit Zohar) ضرورة احترام النص الهدف أثناء الترجمة للأطفال لأنّ أدب الأطفال يتمحور حول النسق الأدبي ويخضع لمعايير الثقافة المستقبلة ،فينبغي على المترجم لهذا الفن أن يتعامل مع النص على أساس مبدأين أساسيين: يتمثل الأول في مراعاته ما يناسب الطّفل من منظور تربوي وأخلاقي، والثاني يثمّل في الأخذ بعين الاعتبار قدرات الطّفل على القراءة والفهم ومعارفه حول العالم المحيط به.Roberta,P.2012:60).

تأتي كلّ هذه الجهود لتنوّه بذلك النشاط الذي عرفته دراسات الترجمة في تلك الفترة من جهة، والبحث حول ما يحكم هذا اللون الأدبي

من معايير أخلاقية وأدبية وبيداغوجية من جهة أخرى. وإذا تفحّصنا هذه المرحلة ،بالذات، يمكن أن نعتبرها منعطفا تاريخيا بالنسبة إلى البحث الترجمي، إذ سرعان ما بدأ هذا الأخير يبتعد – أثناءها - عن روتين الدراسات اللسانية للترجمة، باحثا في الوظيفة المنوطة بهذه العملية، وهذا ما ظهر جليا في ألمانيا ،على وجه الخصوص ،حيث نحا البحث في الدرس الترجمي منحى وظيفيا. ونجد من بين الذين تطرقوا بالدراسة لترجمة أدب الأطفال من هذا المنطلق الوظيفي الباحثة كاتارينا رايس ،التي تشير إلى ثلاث خصوصيات جوهرية تميّز الترجمة في هذا المجال، وهي أوّلا حالة اللاتناسق في سيرورة الترجمة ،التي يتوجّه فيها المترجم باعتباره – كبيرا - إلى متلقي صغير، وهو الطفل، وهذا ما يحتّم عليه الإلمام بلغة الطفل وقدراته الإدراكية والمعرفية ، ثمّ هناك الإكراه الممارس على المترجم من قبل وسطاء الكتاب من أولياء وناشرين وأساتذة فيؤدّي به إلى إحداث تعديلات على الأصل لاعتبارات تربوية وبيداغوجية ،و أخيرا يراعي المترجم محدودية معارف الطفل حول العالم المحيط به (Roberta,P.2012:61).

قام كذلك قوت قلينغبيرق (Gote Clingberg) في مقاله " قصص الأطفال بين أيدي المترجمين" (Children's fictions in the hand of translators) بتحليل مفهوم الاقتباس (Adaptation) ،باعتباره يميّز الترجمة لأدب الأطفال ،مشيرا إلى أنّه عبارة عن كلّ إجراء كتابي يأخذ في الحسبان المتلقي ،كما يميّز بين الاقتباسات السياقية الضرورية التي يتمّ توظيفها لمساعدة القارئ على الفهم ، وذلك بواسطة عشر تقنيات يقترحها مثل الشرح ،وإعادة الصياغة ،والحذف، والاستبدال وغيرها،والاقتباسات

التطهيرية أو التهذيبية التي تدرج في النص الهدف لاعتبارات إيديولوجية غير مقبولة في سياق التلقي، وهو يحثّ في المقابل أيضا على الوفاء للأصل ،إلا فيما يخصّ بعض التعديلات الطفيفة لصالح المتلقي (Roberta,P.2012:61).ويثير هنا الباحث قضية الاقتباس والترجمة للأطفال لكونهما إجراءين يجريان بين ثقافتين، وبالتالي ،فإنّ مراعاة ثقافة التلقي لا تتأتّى بالترجمة على شاكلة الزجاج الملوّن وفقا لمفهوم جورج مونان ، بل تتحقّق من خلال الترجمة على شاكلة الزجاج الشّفاف الذي يمثلّ في هذه الحالة اقتباسا لا نحسّ فيه إطلاقا بأثر الترجمة.

وتأتي الباحثة الفنلندية والمهتمّة بالترجمة للأطفال ، ريتا واتينن (Ritta Oittinen) على رأس الدراسات الترجمية المعاصرة ،التي تطرقت إلى هذا المجال من منطلق وظيفي يراعي النص الهدف، متأثرة بكتارينا رايس وفيرمر،فأصدرت في سنة 2000 كتابها باللغة الإنجليزية المعنون " الترجمة للأطفال – Translating for children " ،وهي ترى بأن الترجمة للأطفال عملية ثقافية تخدم هدفا محدّدا وفي وضعية تلق خاصّة، نظرا لاختلافات عديدة تتمثل في : القرّاء، والثقافة، واللغة، وطريقة القراءة والوضعية.

"The readers of the texts,the original and the translation,are different:they belong to different cultures,they speak different languages and they read in different ways. Their situations are different"(Ritta,O.2000:12).□

ويبدو توّجه **واتينن** في هذا الباب واضحا صريحا للطرف الثاني في عملية التواصل ،أي المتلقي الصغير،ومن هنا يتّضح المنحى الوظيفي الذي

يخوّل لها القيام بتغييرات على مستوى الأصل،بما تراه كفيلا بتحقيق متطلبات المتلقي الذي تعتبره متميّزا ونموذجيا (Superadressee). إضافة إلى ذلك ،وعلى غرار المنظّرين الذين ينادون باحترام صاحب النص الأصل، ترى بأنّه حينما " ينتقل النص إلى اللغة الهدف ،ويصبح ،كما أشرت مقبولا ومحبوبا من خلال الترجمة، يكون المترجم لهذا النص قد استوفى حقّ الأمانة تجاه كاتب النص الأصل" (Ritta,O.2000:84).وهكذا يتّخذ مفهوم الأمانة في الترجمة ،وفقا لواتينن، معنى آخر، وبالتالي، فإنّ المترجم الأمين – لاسيما المترجم لأدب الطفل – هو من ينجح عملية التواصل ويحقّق الهدف المحددّ لها، وهو من يجعل هذه الترجمة مقبولة لدى الجمهور المتلقي.

لقد تطرّق غالبية منظرّي الترجمة في طروحاتهم وتصوّراتهم لإستراتيجية الترجمة المعتمدة في ترجمة النصوص – والتي لايسعنا حصرها في هذا البحث - إلى تلك الثنائية التي تتراوح بين الوفاء للأصل أو للهدف، وبذلك نلاحظ بأنّه اختلفت التسميات ولم تختلف المبادئ سواء في المقاربات الترجمية ذات المنحى اللساني أو الوظيفي .فإذا كان الوفاء للأصل يتحقّق مثلا عند جورج مونان باعتماد إستراتيجية الزجاج الملوّن، فإنّ لورنس فينوتي يراها تتحقق باعتماد إستراتيجية التغريب، وإن كان يرى في مفهوم الأمانة الموافقة بين الإستراتيجيتين معا (التغريب والتوطين - Foreinizing translation-Domesticatin translation)،كما يرى أنطوان بيرمان،في تصوّره لإستراتيجية ترجمة النص الأدبي، احترام الأصل، وذلك ما تقتضيه - بمفهومه -أخلاقيات الترجمة ،التي لا تتحقق بالترجمة العرقية (Ethnocentrique)، بل باندماج معياري الأخلاقية والشعرية (-Ethéticité

Poéticité) (Roberta,P.2010 :173). وعلى الرّغم من التباين الواضح في الرؤى بين بيرمان وواتينن ، إلا أنّ الدراسة التي جاءت بها عن الترجمة لأدب الأطفال تعدّ من أكثر الدراسات الوظيفية التي لامست هذا المبحث بشكل من التوضيح والمحاججة. ومن ثمّ ،فهي تلتقي مع الطرح الذي يراه أندري لوفيفير ،من أنّ الترجمة ،على الرّغم من أنّها تستدعي الأمانة في النقل، إلا أنّها عبارة عن إعادة كتابة لارتباطها بعدّة اعتبارات منها الإيديولوجية،والسلطوية،والمؤسساتية،وغيرها،التي تؤثرّ في إستراتيجية الترجمة (Riitta,O.2010 :39-40).

ويأخذ السياق الاجتماعي عند المنظرّة نورست (Norst-1989)، مكانة خاصّة في الترجمة بحيث ترى أنّه هو من يصنع الفرق بين الترجمة للكبار والترجمة للأطفال، وإن اشتركتا في مسعى واحد وهو نقل المعنى. فمسالة السياق مهمّة من وجهة نظر ترجمية ،ما دام أنّه يقبل الترجمة والتلطيف والملاءمة ضمن جملة من المعايير الإيديولوجية داخل النسق الأدبي لثقافة التلقي ،كما أنّ النص الهدف لا يشبه الأصل في السياق الاجتماعي الذي حلّ فيه (Helen T,F .2010 :19) .ويتبين لنا بأنّ المترجم ينبغي له أن يأخذ بعين الاعتبار خصوصية البيئة التي يعيش فيها الطفل المتلقي نظرا لأن أدب الأطفال ،في حدّ ذاته، يروم تربية الطفل وتنشئته اجتماعيا داخل بيئته، بما تتضمنه من إيديولوجية ومعتقد ونمط العيش(Helen T,F .2010:20) وهي تذكر عدّة اعتبارات تدخل في التعاطي مع الترجمة في هذا المجال نلخصها فيما يأتي:

- يساهم كلّ من ***الفهم الدولي،*** وتعليم التسامح، وفهم ثقافة الآخرين في التأثير المباشرفي درجة الاقتباس في الترجمة واتخاذ قرار توطين النص الهدف أو تغريبه.

- إنّ ***حماية الأطفال*** من المظاهر السلبية للحياة مثل العنف، والموت، والمعاناة، والسلوكات الشائنة في اللغة والطبائع بإمكانها أن توضّح مواضعات المعايير الترجمية اللغوية والأدبية في الثقافة الهدف. ويعمل إجراء "التطهير" على تغطية مجموعة من الميولات بداية من الناعمة منها كالتلطيف والتخفيف اللغوي إلى الحالات القصوى المتعلقة بالايديولوحا والثقافة بحذفها واستبدالها.

- ***تربية الأطفال*** تنتج عن استراتيجية توضيح السياق والتعليمية وفرض معايير المقبولية.

- ***الترفيه عن الأطفال*** ينتج بالتنازل عن بعض المواضعات الجارية لصالح أشكال فكاهية تكون قابلة للمعالجة والاقتباس.

- ***الأدبية*** في تطوير الجمالية والخبرة الأدبية بتحسين الكيف أو مستوى التعقيد في النص من خلال اقتراحات المترجم في الكتابة.

- ***التوقعات العامّة*** وتعزيز النوع يساهم في التركيز على معايير الترجمة الأدبية في الثقافة الهدف، فيكون الاقتباس السياقي ،مدفوعا بسلطة السوق.وتدخل معاييرالتوقّعات حيّز التنفيد مادام القراء يوظفون خبراتهم في قراءة نصوص ذات أجناس مختلفة . (Helen T,F .2010:20).

وتأتي هذه المقاربة لتعزّز التوجّه الترجمي الذي يأخذ بعين الاعتبار المتلقي (الطّفل) ويراعي الاعتبارات المختلفة التي تحكم الأدب

الموجّه له. وبإعمال ذلك ، نلاحظ بأنّ المترجم يجد نفسه محكوما بسلطة الوسيط (الكبير) والقارئ معا، فيرى بأن الترجمة التوطينية (Domestication) أو إعادة الكتابة (rewriting تفرض عليه نفسها ، فيشرع في إدخال جملة من الإجراءات والأساليب الترجمية من شرح، وإضافة ،وحذف، وتكييف لكلّ ما يفترض أن يؤثر في المقبولية من جهة والمقروئية من جهة أخرى.

ونخلص في الأخير إلى أنّ ترجمة أدب الأطفال أثارت اهتمام كثير من الباحثين والمنظّرين بمختلف مشاربهم وتوجّهاتهم ،لا سيما في نهاية القرن الماضي وبداية الألفية الثالثة.وقد ركّزت جميع المقاربات التي تطرقت لهذا المبحث - لاسيما ذات التوجه الوظيفي - على المتلقي الطّفل، بالإضافة إلى اعتبارات أدبية ،وتربوية، وترفيهية، وأخلاقية، وتجارية.وعليه، فإن كلّ ترجمة موجّهة للأطفال هي مقيدّة ومحكومة بهذه الاعتبارات التي تخصّ المتلقي داخل بيئته الثقافية والحضارية ،ممّا يجعل منها عملية معقّدة نوعا ما. ولتحقيق الهدف من الترجمة للأطفال، يقوم المترجم بتوظيف إجراءات ترجمية يحقّق بها الهدف المحدّد، مراعيا الثقافة المستقبلة وقد يجد نفسه في ،غالب الأحيان، مبدعا يعيد كتابة النص الأصل وفقا لظروف التلقي.

المراجع باللغة العربية:

1- أبو معال،ع.(1988).أدب الأطفال، عمان، ط2، دار الشروق للنشر والتوزيع.

-2 أحمد ، زلط.(2000).معجم الطفولة: مفاهيم لغوية ومصطلحية في أدب الطفل وتربيته وفنونه وثقافته، ط2، الاسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع.

-3 أمل، حمدي دكاك.(2012).القصة في مجلات الأطفال ودورها في تنشئة الأطفال اجتماعيا، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب.

-4 حميد ، لحميداني.(2005). الترجمة الأدبية التحليلية ترجمة شعر بودلير نمزذجا ، ط1، فاس، أنفو برينت.

-5 عبده، عبود.(1995).هجرة النصوص ، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

-6 علي، الحديدي.(1976). في أدب الأطفال، القاهرة، ط1 ، مكتبة الأنجلو مصرية.

-7 عميش، ع.(2003).قصّة الطفل في الجزائر، وهران، ط1 ، دار الغرب للنشر والتوزيع.

-8 محمد، قرانيا.(2012). تجلّيات قصة الأطفال"التجربة السورية"، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

-9 موفق ، رياض مقدادي.(2012).البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 17، 392 -46 .

المواقع الإلكترونية:

-1 حمداوي ،ج. (2009):، قصص الاطفال بالمغرب
http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2009/07/06/169053.html

-2 حمداوي ،ج. (2009):، أدب الاطفال في تونس.
http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=19409

-3 حمداوي، ج.(2014): أدب الأطفال في ليبيا
http://www.afrigatenews.net/content

المراجع باللغة الأجنبية:

1- Frank,H,T.(2007).Translation as mediation between cultures(In: Cultural encounters in translated children's literature,Ed1,Routledge ,P 9-20.

2- Mitri,Y,G.La traduction de la littérature de jeunesse,une recréation à l'image de ses récepteurs.(2014),Ed1,L'Harmattan.

3- Oittinen,R.(2000).Translating for children,New York,ED1,Garland .

4- Poslaniec,C.Se former à la littérature de jeunesse,Paris,Ed1,Hachette.

5- Prince,N.(2010).La lttérature de jeunesse,Paris,Ed1,Armand Colin.
6- Roberta,P.(2012).La traduction de la littérature d'enfance et de jeunesse et le dilemme du destinataire,Bruxelle,Ed1,P.I.E. Peter Lang
7- Roberta,P.(2000).Traduction éthique et poétique :pour une réconciliation du lecteur et du texte littéraire,Antoine Bermane et la traduction de la littérature pour enfants (In :Ecrire et traduire pour les enfants voix, images et mots,Bruxelle,Ed1,P.I.E. Peter Lang,P 171-189.

Abstract

Children's literature between translation and rewriting

This paper tackles one of the most important issues in translation's studies as it deals with the debatable topic of the translation of children's literature. This latter has intrigued many translation's theorists along the course of the last two decades till the present time. Trough this paper, we will attempt to understand the tenets of this literary production, since it is appealing to both young (children) and adult recipients. The rational that is to be tackled here is the translation of children's literature into the target language and the so many considerations the translator may encounter. These considerations may be ranging between what is educational, pedagogic and entertaining. In fact, this variety is what makes the process of translation more intricate to be successful. As such, this study aims at clarifying the procedures and strategies

that must be taken into consideration by the translator of children's literature in order to translate a text that is equivalent and in harmony in function with the source text, and hence acceptable by the recipient public.

Key words: *children's literature, education, entertainment, reception, equivalence and acceptability*.